مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد08 / العـدد: .02(2024)، صص123-136

ثنائية الكاريكاتير والسياسة ...من الخطاب النقدي الساخر إلى صناعة الوعي السياسي

The duality of caricature and politics...from ironic critical discourse to making political awareness

نادية لمهل*
جامعة العربي بن مهيدي –أم البواقي– (الجزائر)
lemhelnadia@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021./11/03 تاريخ القبول: .2024/04./25

الملخص:

على مدى العقود الثلاثة الماضية، تمت دراسة وتحليل مدى تأثير الرسوم الكاريكاتورية السياسية على نطاق واسع، كما اتضح في مجموع الدراسات حول الموضوع، فقد كشفت الأبحاث حول الكاريكاتير السياسي منذ الثمانينيات عن ثلاث اتجاهات كبرى اعتمادًا على الوسائط المستخدمة بداية بما خلفته الحضارات الإنسانية من رسومات على الكهوف و الجدران و مرورا بالمطبوعات الصحفية ثم وصولا الى كاريكاتير الانترنت، واقتران موضوعاتها بصناعة الوعي السياسي عن طريق اعتماد أسلوب السخرية، وهو ما حاول هذا المقال النظري معالجته في ضوء تحليل الدراسات السابقة.

كلمات مفتاحية: كاريكاتير؛ سخرية؛ سياسة؛ صحافة.

Abstract:

Over the past three decades, the impact of political caricatures has been widely studied and analyzed, as evidenced by the body of studies on the topic. Research on political caricatures since the 1980s has revealed three major trends depending on the media used, beginning with the legacy of human civilizations. On caves and walls, through press publications, and then down to Internet comics, and the association of its topics with the manufacture of political awareness by adopting the method of irony, which is what this theoretical article tried to address in the light of the analysis of previous studies

Keywords: caricature; mockery; Policy; Journalism

* **المؤلف المرسل**

1. مقدمة:

يعتبر الكاريكاتير من أبرز الفنون التي تقدم النقد للسلطة السياسية بشكل رمزي أو بأسلوب جريء وأحيانًا لاذع، ولا يكون بالضرورة مؤذيًا أو خادشًا، ولكنه غالبًا ما يتعمد لهجة تهكمية ساخرة، وتحمل بداخلها مضامين قوية عن قضايا سياسية أو إنسانية مثل المرأة والهجرة و البطالة والحروب و غيرها من الظواهر الإنسانية، وتكمن قيمة هذا النوع الصحفي الأساسية في تسجيل و توثيق الأحداث والوقائع للأجيال القادمة، إضافة إلى إثارة الشك في القرارات المفروضة من تسلط السلطة بكل أشكالها، حتى المجتمعية من اعراف و تقاليد ، بهدف إحداث تأثير على الرأي العام وبالتالي الضغط على السلطات ودفعها لتغيير مسارها نحو تحقيق حرية التعبير و الديموقراطية و التغيير و العدالة الاجتماعية . ومن هذا المنطلق نطرح التساؤل البحثي التالي:

كيف يساهم الكاريكاتير باعتباره فنا صحفيا ساخرا في صناعة الوعي السياسي؟

2. مفهوم الكاريكاتير:

1.2 لغـة:

لم يستوف لفظ الكاريكاتير مصطلحا دقيقا إلا مع نهاية القرن السادس عشر تقريبا، وهو لفظ مشتق من كلمة مأخوذة عن الايطالية (كاريكير)بمعنى شحن وبالغ. (البوجديدي، 2013، صفحة 194)

2.2 اصطلاحا:

الكاريكاتير كما يسميه **أرسطو**: الفن البشع وهو شكل من أشكال فن الرسم الأكثر جذبا وهو قائم على المبالغة بالخطوط والريشة من خلال تحريف الملامح الطبيعية مع الاحتفاظ ببعض أوجه الشبه به أو ظاهرة اجتماعية أو حدث سياسي بهدف التهكم والسخرية أو النقد الاجتماعي والسياسي على خلاف المقال الذي يتناول موضوعا معين وإن كان ساخر ولاذعا فإن الرسم الكاريكاتيري المعبر عن المعنى ذاته مفهوم من الجميع بصرف النظر عن فئاتهم الاجتماعية ومستواهم الثقافي لما يتسم ببساطة في الطرح وعمق التأثير الجماهيري ومن هنا يستمد فن الكاريكاتير قوته كأداة صحفية ساخرة وناقدة. (بوفريوا، 2018) .

يقول **حمدان سالم** أن الكاريكاتير هو تعبير عن حدث او فكرة باستخدام موهبة الرسم والتفكير المنطقي القادر على تحويل الافكار الى رموز مكتوبة ومفهومة بقصد لفت الانتباه الى امر محمود ينبغي دعمه او تسليط الضوء على امر مذموم ينبغي معالجته. (سالم، 2018، صفحة 5)

يعرف **ناجي العلي** الكاريكاتير بأنه:" لغة يتخاطب بها الفنان مع الناس فالكاريكاتير هو الوسيط بين لناس الذي يلعب دور الرسالة و اللغة، فهو أبلغ من اللغة في حد ذاتها، لأنه لا يحتاج الى لغة كلام و حروف بل صورة تكفي ليعبر عما هو راهن، لذلك فهو لغة الإعلان و الاحتجاج و الاحتفال و الدعاية لاي بضاعة في المجلات او شاشة التلفزيون او السينما ". (السالم ، 2014، صفحة 31)

أشار **علي البوجديدي** أن وظيفة الكاريكاتير هي الإخبار عن حدث ما تم التعليق عليه، وذلك بالكشف عما هو سلبي و بانتقاد وضعية سياسية معينة و بخلخلة تقاليد التفكير و التقييم المتعلقة بالسياق السياسي و الثقافي في مجتمع ما و ذلك بوضع عناصر هذه الوضعية موضع سخرية. (البوجديدي، 2013، صفحة 199)

3. حظوة الكاريكاتير كفن عالمي ساخر وبدايات ظهوره:

1.3 حظوة الكاريكاتير كفن عالمي ساخر:

تعتبر الفنون النقدية كفن الرسم الساخر أو ''الكاريكاتير''، الذي لطالما اصطدم عبر التاريخ مع الأنظمة الدينية والسياسية والثقافية تقنية وأسلوبا عجز الكثير من الدارسين عن فهم الدور الأساسي الذي لعبه و لا يزال يلعبه هذا الفن في الفكر الإنساني عبر العصور.

لقد وثقت الأبحاث السابقة لهذا الفن ، حيث أشار حمادة ممدوح في كتابه " فن الكاريكاتير من جدران الكهوف الى أعمدة الصحافة" أن الكاريكاتير كفن مركب بين التشكيل و الكوميديا و السخرية يعود الى نشأة الانسان أي الى ما قبل التاريخ ، وقد عثر على الكثير من الرسوم التي تحتوي على عناصر الكوميديا و السخرية على جدران الكهوف في فرنسا و إيطاليا و أمريكا الجنوبية و الجزيرة العربية و الصحراء الجزائرية و غيرها ، و قد دهش الباحث القس "بريل" من المضمون الفكاهي الذي حملته مجموعة من الرسوم تم العثور عليها في الصحراء الجزائرية ، فلا يمكن التمييز إن كانت الرسومات لنساء يمشطن شعورهن أم ثيران أو صيد غزلان. (ممدوح، 1999، صفحة 55)

بينما يفضل أنصار التفوق الفرعوني الرجوع بها إلى نهايات الألفية الثالثة قبل الميلاد من خلال بردية موجودة في المتحف البريطاني، تحوي نصا ساخرا كتبه جندي مصري ، وفي نفس المتحف ثمة بردية أخرى أحدث تعود لعام 1120 قبل الميلاد ، تتضمن رسوما اعتمدت السخرية بالتناقض ،حيث قط بري يرعى بطا و ذئب يرعى ماعزا و أسد يلعب الشطرنج مع غزال ، وفي باريس كانت بدايات ظهور هذا الفن الساخر مرتحلة من الأدب والمسرح، يقال إن تاريخ البداية كان عام 1789، كما صدرت أول صحيفة هزلية مصورة في العالم اعتمدت الكاريكاتير مادة أساسية فيها عام 1830 على يد الصحفي و الرسام الفرنسي المشهور **شارل فيليبون** و أسماها الكاريكاتير.(عامر و يوسفي ، 2018، صفحة 233)

لا يمكن إغفال ما وصلنا من الحضارة المصرية القديمة حيث كان المصريون القدامى ينفذون رسوماتهم على ورق البردي ولعل أشهرها رسم يصور قططا تقوم بخدمة الفئران حيث يحمل الأول قدحا وآخرها آنية زجاجية تحتوي على الخمر يقدمونها الى فأر يقف بمواجهتهم ويحمل هذا الرسم العديد من المعاني. (ممدوح، 1999، صفحة 55)

يُذكر أنه في متحف الكاريكاتير في لندن يوجد رسم كاريكاتيري يعود الى القرن الثالث قبل الميلاد يصور الفساد الأخلاقي الذي يسود البلاط و يسخر من الفرعون و يمكن الإشارة أيضا الى رسم شهير في التراث الفرنسي في نهاية القرن الثامن عشر لفنان مجهول، يصور فلاحا يرعى الملك" **لوديفيغ السادس عشر**" مع تعليق : لقد أصبت بالفقر لكي أعلفه و الآن لا أعرف ماذا سأفعل به. (حمادة ، 1999، صفحة 54)

تشير الأبحاث والدراسات أن كلمة كاريكاتير استخدمت لأول مرة سنة 1646، وفي القرن السابع عشر، كان **جيان لورينزو برنيني** أول من عرف المجتمع الفرنسي على هذا الفن، ثم انضمت بريطانيا إلى هذا الحقل من خلال الفنان **جورج تاوتسهند** الذي يعد أول من استخدم فن الكاريكاتير للتعبير عن الأفكار والآراء السياسية. (علوان، 2020) .

عرف الكاريكاتير انتشاره الأول في الصحافة عبر الصحافة الساخرة التي كانت منبرا لنشاط الكاريكاتير و نافذة لرساميه حيث كان اول ظهور له في مجلة الجنتلمان Gentleman Magazineفي بريطانيا و اشتهرت رسوم الساخر "**دومييه**" في فرنسا بشكل كبير (حمادة ، 1999، صفحة 55)

في أمريكا ظهر الكاريكاتير مثلا في عمل مجهول المؤلف عام 1834 يصور فيه الرسام الرئيس **جاكسون** على شكل عفريت له ذيل وجناحان وقرنان ومخالب، ويمسك بكلتا يديه حبالا علقت في نهايتها أكياس نقود وأسلحة وقبعات نسائية تمثل الوعود التي صرح بها جاكسون وفي الأسفل جمع من رجال الاعمال وأصحاب البنوك والموظفين كل منهم يبذل جهدا للحصول على هذه الأشياء المعلقة الا انهم لا يفوزون بشيء. (ممدوح، 1999، صفحة 54)

ورد في كتاب فن الكاريكاتير أن «عدد من رسامي الكاريكاتير الروس تتم دعوتهم الى اجتماعات القيادة السوفياتية الخاصة بالإجراءات الدفاعية اثناء الحرب العالمية الثانية " (ممدوح، 1999، صفحة 55)

وهو ما يشير إلى أهمية هذا الفن واستخدامه في مجالات حياتية عديدة كالدعاية مثلا أثناء الحروب والازمات.

استُعمل الكاريكاتير كسلاح سياسي، في فترة الإصلاحات الدينية التي قادها **مارتن لوثر** ضد الكنيسة الكاثوليكية في الفاتيكان. كان عمل على تكريس السخرية كسلاح في هذا الصراع، فقال: "يجب أن نرسم القساوسة والخوارنة على جميع الجدران، وحتى على أوراق اللعب، بشكل يجعل الناس يشعرون بالقرف عندما ينظرون إليهم، أو يسمعون عنهم"، ولعل أشهر الرسوم في تلك الفترة، هو الرسم الذي يصور بابا الفاتيكان، على هيئة حمار وكذلك سلسلة الالماني **لوكاس كراناخ** بعنوان" الدجال وانفعالات المسيح" (رشدي ، 2020)

2.3 بدايات ظهور الكاريكاتير في الصحافة العربية:

لم يخلُ الوطن العربي من الصحف الكاريكاتيرية الساخرة خاصة في مصر و فلسطين و لبنان و العراق و سوريا و الجزائر وقد ظهرت في بداية القرن العشرين على سبيل المثال صحفية الكشكول المصرية و المضحك المبكي السورية وغيرها من الصحف الرائدة في هذا المجال ولأن التجربة المصرية رائدة في هذا المجال فسنحاول ابرازها بشكل اكثر تفصيل عن باقي الدول.

يعد **يعقوب صنوع** ومجلته "أبو نضارة" أولى الإنتاجات في هذا المجال، إذ انتقد فيها الاحتلال الإنجليزي والخديوي المصري إسماعيل وابنه الخديوي توفيق، ولسوء الحظ انتهى به الأمر منفيًا من **الخديوي إسماعيل** إلى باريس عام 1872. (علوان، 2020).

1.2.3 التجربة المصرية:

إن المصريين يفخرون بأنهم أول شعوب الحضارة الانسانية من أطلق النكات فروح الفكاهة منتشرة في الحياة المصرية بشكل كبير، فعندما يشكو راكب في إحدى سيارات الأجرة في القاهرة من وجود صرصور في السيارة يشاركه السائق شكواه بأن الصرصور لم يدفع له أجرة الانتقال.

بالإضافة إلى ذلك كشفت الدراسات والابحاث الاثرية عن وجود رسومات كاريكاتورية – كما سبق وأشرنا –خلَّفها الإنسان القديم على جدران الأهرامات المصرية وكذا في أرجاء المعابد القديمة، نذكر من ذلك بردية مصرية قديمة بيد رسام ساخر مجهول يصور فيها طائر يصعد الى شجرة ليس بواسطة جناحين وإنما بواسطة سلم خشبي، وهو فعل مخالف للواقع مما يجعله يبدو تهكما وسخرية. (شمسي ، 1970، صفحة 104)

يذكر **أنور الجندي** في كتابه (تطور الصحافة في مصر): أن الصحافة الهزلية الساخرة ظهرت قبيل الثورة العُرابية، قوامها الصورة والكلمة الفكاهية القائمة على نقد الأوضاع الاجتماعية، و كان أبرز العاملين في ميدانها كل من **يعقوب صنوع** و**عبد الله نديم** ،وظهرت صحف كثيرة، مثل مصباح الشرق وخيال الظل والمسامير والشجاعة عام (1907 1910) ، حيث الأسلوب الصحفي الهزلي من وسائل الكفاح خلال ثورة 1919 ضد الحماية و الانتداب، وفي سبيل المطالبة بالاستقلال والدستور والثورة 1919 وقد أثر في ظهور عدد من الصحف الهزلية و نفر من الكتاب الساخرين (الجندي ، صفحة 321).

أشار **أنور الجندي** في كتابه تطور الصحافة العربية في مصر أن فن الكاريكاتير (باعتباره نوعا صحفيا ساخر متجذر في تاريخ الصحافة العربية) كان من اختراع الفنانين المصريين القدماء على عهد الفراعنة وانهم لم يقصروه على التفكهة (من الفكاهة)، بل أرادوا به معاني سياسية واجتماعية ويرى في النقيض من ذلك توفيق حسين اذ يقول: إن صحف الكاريكاتير قد عملت منذ اليوم الأول على نهش الأعراض ...وكان عمادها الطعن في الأشخاص (الجندي ، صفحة 322)

صور **يعقوب صنوع** في صحيفته (أبو نظارة) عام 1877مدى الظلم و العبث بحياة الأفراد والجماعات في عهد الخديوي اسماعيل ...لقد كان صنوع حسب الكاتب لاذعا في نقده حيث كان يحض المواطنين على الثورة ، كاشفا فضائح نظام الحكم وكان له دور كبير في تحريك الشعب ضد الطاغية (جابر ، 2009، صفحة 153)

في هذا السياق يخلص **الصاوي** إلى أن تاريخ إصدار مجلة "أبو نظارة" هو بداية منطقية بالفعل لمسيرة الكاريكاتير في مصر، وكذلك اعتبار صنوع الرجل الذي أطلق شرارة أنارت الوجدان المصري بفيض كاريكاتيري بلغ ذروته خلال النصف الأول من القرن العشرين، وهي حقائق لا يصح إنكارها أو تجاهلها بناء على أهواء أو آراء لا تستند إلى دليل (سلطان، يعقوب صنوع مبدع حائر بين الصحافة والمسرح وفن الكاريكاتير، 2021)

تجدر الإشارة هنا أن الصحافة الساخرة في مصر كانت الأقرب إلى قلوب الشعب لكنها لم تصمد ولم تستمر، لأن من يصدرها كانوا أفرادا ينفثون عما في صدورهم من أوضاع في مجلة أو جريدة ساخرة، وتتوقف تلك المجلة حين ينفذ آخر قرش في جيب صاحبها أو بمصادرتها أو موت صاحبها لأنه هو الممول الوحيد . (عبد الرحمن ، 2018، صفحة 11)

من بين المجالات التي لمع فيها الأرمن في مصر، كان الفن التشكيلي، إذ ارتبط تاريخ الفن المصري الحديث بعدد من الأسماء ذات الأصول الأرمينية،ومن بين هذه الأسماء يأتي ألكسندر صاروخان، وهو مصور أرميني الجذور، احترف العمل في رسم الكاريكاتير السياسي في الصحف المصرية منذ عشرينيات القرن الماضي. ويُعدّ صاروخان واحداً من بين ألمع رواد هذا الفن في البلاد خلال النصف الأول من القرن العشرين، إذ ظهر في وقت كانت الصحافة المصرية في أوج نشاطها، فحفر لاسمه مكانة بارزة في تاريخ هذا الفن، ليس برسومه الكاريكاتيرية وحدها بل بإسهامه في خلق (وتبنّي) جيل جديد من الرسامين المصريين الذين حملوا على عاتقهم لواء هذا الفن فيما بعد . (سلطان ، الأرمني ألكسندر صاروخان رائد الكاريكاتير في مصر، 2021)

2.2.3 التجربة الفلسطينية

كلما جاء ذكر الكاريكاتير السياسي العربي قفز إلى الأذهان اسم الرسام الفلسطيني الشهير **ناجي العلي** الذي اغتيل برصاص مجهول عام 1987 في لندن بعد حياةٍ لم تكن بالطويلة، ولكنها كانت مزدهرة صاخبة مليئة بالنقد اللاذع والتعبيرات الصادقة حيال القضية الفلسطينية بل كانت رسوماته تلك التي ناضل بها هي نفسها سبب انتهاء حياته بشكل مأساوي، (النشار ، 2018)

إضافة الى العديد من الأسماء المعروفة أمثال **بهاء البخاري** الذي ناضل على مدى نصف قرن بلوحاته في سبيل ايصال الصوت الفلسطيني إلى العالم، و نجد أيضا الطبيب الجراح **علاء اللقطة** الذي عرف كأحد أهم رسامي الكاريكاتير في فلسطين، حيث أكد على شرعية حق الفلسطينيين في حياة كريمة، اضافة الى **محمد بساعنة** و **أمية جحا** و غيرهم الكثير ممن مثلوا المشهد الإبداعي الكاريكاتيري في فلسطين على مدى سنوات عديدة. (السعدي ، 2016)

3.2.3 التجربة السورية

طيلة أربعين عاماً، بثّت السلطة في سورية رعبها التام في الصحافة، لكن ذلك لم يمنع رسام الكاريكاتير الفلسطيني السوري **هاني عباس** من نقل وجع الشارع إلى رسومه بعد أن هُجّر من منطقة ببّيلا في ريف دمشق.

كان عباس على تماسّ يومي ودقيق مع المظاهرات، راقب انهيار الخوف من السخرية على طريقته؛ يقول في حديثٍ إلى "العربي الجديد": "سابقاً كانت الرسائل الموجّهة في فن الكاريكاتير السوري تُصاغ بشكل عام؛ أي أن الرّسام لا يحدّد أشخاصاً بعينهم، سواء أرسم وجوه السلطة الحاكمة أو حتى المسؤولين، كان ذلك صعباً، ما يجعل الرّسام يطرح فكرته بشكل عام بصور أشخاص بلا ملامح، وهنا يمكن أن يضحك حتى الشخص المقصود تماماً في الكاريكاتير، مُعتقداً أنه عن شخص آخر". (الشيخ، 2016)

يعتبر رسام الكاريكاتير **سعد حاجو** الذي وصل اسمه للعالمية –بفوزه بجائزة ايفيكو للكاريكاتير السياسي في السويد عام 2015 – يعتبر من أشهر رسامي الكاريكاتير في سوريا و العالم ، حيث أبدع قبل و بعد لثورة السورية في العديد من الرسومات ، و قد ناضل أثناء الثورة في كشف ابعاد الصراع بين الظالم و المظلوم في بلده ، فمثل صوت الناس بدون ان يكترث لأي خطوط حمراء تضعها الأجهزة الأمنية فلقب بفنن الشعب الثائر . (ناصر ، 2020)

4.2.3 التجربة الجزائرية

يَعتبر الرسام الكاريكاتوري **فاتح بارة** أن تطور الاعلام الساخر في الجزائر مر عبر عدة مراحل متباينة، الأولى كانت ما بعد الاستقلال ونظرا لضعف الحظيرة الإعلامية خاصة المكتوبة منها وقلة العناوين وضعف التأطير بسبب الأمية التي ورثها الجزائريون عن الاستعمار الفرنسي، كان الكاريكاتير فنا شبه معدوم ،وقد كان قطاع الإعلام آنذاك أكبر المتضررين حيث تحول إلى بوق لأيديولوجية نظام الحكم فانعدمت أبسط هوامش حرية التعبير، الأمر الذي فرض على فن الكاريكاتير أن يكون مقتصرا على مواضيع ذات طابع اجتماعي هزلي، أما القضايا السياسية فاقتصرت على الشؤون الدولية بطابع رمزي وتجريدي من دون رسالة ولا بعد فلسفي. (زهار ، 2020)

لقد أظهرت الفترة الذهبية للحرية الإعلامية في الجزائر التي امتدت من أواخر 1988 إلى غاية صبيحة 12 كانون الثاني (يناير) 1992 تاريخ الانقلاب على التجربة الديمقراطية، ثراء الساحة الجزائرية بالأفكار والفنون، حين توفرت الحدود الدنيا من الحرية، فكانت الجرائد الساخرة مثل "بوزنزل"، "المنشار"، "الوجه الآخر"، "الساخر" و"الصح آفة" وغيرها. (زهار ، 2020)

كما ظهرت بعض الجرائد الهزلية والنقدية الساخرة سواء منها الناطقة بالعربية او الفرنسية، وكان للصحفيين الجزائريين مساهمة متميزة فيها، وعرفت الجزائر في السبعينات جملة من المجلات والصحف الساخرة التي تتناول الاحداث والمواضيع المحلية بطريقة هزلية تحاكي الواقع، كانت تقوم على رسومات كاريكاتورية من بينها مجلة **"مقيدش"** التي أصدرت عددها الأول في فيفري من سنة 1969وكانت أول مجلة متخصصة بالرسوم الضاحكة في الجزائر. (عامر و يوسفي ، 2018، صفحة 233)

4.مساهمة الكاريكاتير في حيوية النقاش الديموقراطي بعد ثورات الربيع العربي

دخل الكاريكاتير إذن بعد القرن العشرين كفن متجذر له رساموه وجمهوره وانتقل الى المجلات والجرائد ثم استفاد من التكنولوجيات الحديثة لوسائل الاعلام مما زاد في انتشاره واحتل بذلك مكانا مميزا استخدم بجرأة كسلاح لمعارضة الحكام وسياساتهم وبقي يتحرش بهم وبالأوضاع العامة لقدرته الكبيرة على إيصال الفكرة وزراعة الوعي في الجماهير بالإيماءة السريعة والتصوير المتقن للأحداث.

بعد ثورات الربيع العربي، نشطت رسوم الكاريكاتير العربي وقد خصصت مجلة **Courier International**، عدداً خاصاً عن كاريكاتير سقوط الأنظمة ضمت رسوماً للرئيس التونسي زين العابدين بن علي وحيداً في القصر، هارباً يحمل بقجة، بينما حسني مبارك يطير عن الكرسي. (رشدي ، 2020)

يعتبر الكاريكاتير أداة للتعبير عن الذات، ولعل هذا ما يفسر اتساع دائرة هواة هذا الفن لتصل إلى قرابة عشرة آلاف شخص بتونس، فقد ارتبط هذا الفن بالحدث السياسي و هناك أعمال تصر على اكمال ما بدأته ثورة الياسمين ، و لعل أشهر رسامي الكاريكاتير في هذه الفترة "نادية خياري" التي اكتسبت شخصيتها الكارتونية" الهر ويليس "شهرة واسعة في الشبكات الاجتماعية، وتحول الى رمز للناقمين على السلطة، إذ غالبا ما ترفع في مختلف المظاهرات والاحتجاجات التي تعم الشوارع التونسية في مواجهة النظام التونسي الجديد بقيادة حركة النهضة. (هشام ، 2013)

5. الكاريكاتور كشكل تعبيري إلكتروني عبر الانترنت :

ذهب البعض إلى تدعيم الوظيفة التي تقدمها وسائل الاعلام الجديدة ؛في أنها حققت ما عجزت على تحقيقه الكثير من المؤسسات السياسية الباحثة عن الديمقراطية والممارسة الحرة للفعل السياسي خلال العقود الماضية ،فبفضل هذه الفضاءات التواصلية التي خلقتها شبكات التواصل الاجتماعي ساهمت في خلق شبكات متنوعة وعريضة وبالوسيلة التي تناسبها في العصر الحالي والذي فرضته البيئة التكنولوجية الجديدة ،وبذلك أحيت هذه الشبكات المؤسسات السياسية كالمواطنة السياسية والديمقراطية والمشاركة السياسية وتفعيل دور المشاركين في قضايا الرأي العام وتشكيل الوعي السياسي. (عباس ، 2018، صفحة 124)

إذا كان البحث عن الكاريكاتير خاصة السياسي خلال الثلاثين عامًا الماضية يتعلق بشكل أساسي بإنتاجاته الرسومية، وأحيانًا بإنتاجاته التلفزيونية أو في الجرائد والمجلات، فإننا لا نزال نرى القليل من الدراسات حول العلاقة بين الكاريكاتير السياسي والإنترنت.

لقد تم استخدام مساحة الحرية التي انفتحت في أعقاب الثورات العربية ومع ظهور الإنترنت ليس فقط من قبل الموهوبين، ولكن أيضًا من قبل رسامي الكاريكاتير، ولعل أشهر المنصات الإلكترونية التي تنشر رسومات كاريكاتيرية ساخرة هي (خرابيش)الأردنية، (مصريون) المصرية، (حي الفريج الغريب)الاماراتية، وهي رسوم كاريكاتورية إماراتية توصف بـ(عرب سمبسون) و الرسوم الكاريكاتورية السعودية (مسامير)، التي أنشأها فيصل عامر ، والمتاحة كتطبيق للهاتف المحمول وعلى موقع يوتيوب ، وقد سجلت بعض حلقاتها أكثر من خمسة ملايين مشاهدة. (Pérez, 2014, p. 332)

وفقًا **لنادية لخياري**، فإن قوة القلم لا لبس فيها: "الرسومات الساخرة هي أدوات اتصال حقيقية،يستمدون قوتهم من تأثيرهم المباشر والسريع. نحن نعيش في مجتمع يمكن التخلص منه، لذلك نحتاج إلى استخدام الصور بذكاء. فضح سخافة بعض السياسيين هو أيضًا طريقة للقتال. " (هشام ، 2013)

هناك ثلاثة عوامل حسب **بيدرو روجو**، جميعها مدينة لازدهار ثقافة الكاريكاتير عبر الانترنت:

المعرفة التكنولوجية المتزايدة للشباب العرب، وانخفاض تكاليف الإنتاج المنزلي، وسهولة الانتشار العالمي لبقية العالم ومجانتيه. (Pérez, 2014, p. 331)

لقد سهل الانفتاح الذي وفرته الانترنت نشر وتبادل رسومات الكاريكاتير والوصول إلى جمهور أوسع، الأمر الذي فتح الباب أمام نقاشات عديدة تتحدث عن مدى أخلاقية أسلوب السخرية باعتبارها تقدم محتويات تتجاوز الحدود الزمانية والمكانية، فهل منحتها هذه الحرية انتهاكا وتعديا على خصوصية الآخر؟ (Pérez, 2014, p. 331)

من ناحية أخرى، يتفق معظم المراقبين مع فكرة أن الإنترنت يسمح للرسوم الكاريكاتورية بتغطية إعلامية متطرفة للأحداث السياسية، مما قد يزيد من التوترات بين الثقافات والديانات، يشير جان ميشيل رونو (2006) في هذا الصدد إلى حالة الرسوم الكاريكاتورية الدنماركية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وما خلفته من تداعيات خطيرة واستنكار عالمي. (Bonhomme, 2010, p. 44)

ابتكر الرسام البرازيلي **كارلوس لاتوف** رسماً يعبر عن الشاب المصري، أحمد الشحاد، الذي تسلق الدور الـ18 ليصل الى السفارة الاسرائيلية في القاهرة، وينزع العلم الاسرائيلي ويرفع العلم المصري من على السارية، وهو الرسم الذي سبب له شهرة عالمية غير مسبوقة، حيث دخل إلى موقع الرسم الالكتروني حتى الآن مليون و300 الف زائر. (خيري، 2011)

أصبح **لاتوف** فجأة رسام الكاريكاتور الاول للربيع العربي. رجل وسيم حليق الرأس انيق في الـ42 من عمره لايزال يعيش مع والديه في مدينة ريو دي جانيرو، له أصول لبنانية. الغريب في الأمر ان لاتوف تحاشى الصحف والمجلات التقليدية، واختار بدلاً عنها موقع «تويتر»، لنشر رسوماته التي تتخاطفها جميع الحملات الاحتجاجية في الشرق الاوسط.

يواجه العديد من رسامي الكاريكاتير العرب مشاكل مع الرقابة والسلطات الموجودة، مثل الفنان المغربي خالد كدار الذي حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات، والسوري علي فرزات الذي تعرض للضرب وكسر أصابعه على يد بلطجية النظام السوري. كما تراقب السلطات الإسرائيلية عن كثب عمل رسامي الكاريكاتير الفلسطينيين ولا تتردد في اتخاذ إجراءات ضدهم، وآخرها حالة رسام الكاريكاتير الشاب من صحيفة الحياة الجديدة، **محمد السبعانة**، الذي تم القبض عليه واحتجازه لستة أشهر. (Pérez, 2014, p. 331)

يقول **عاطف مصطفى** في مقال له نشر في مجلة الهلال: "إن رسم صورة واحدة ناجحة تحدث هزة سياسية أو اجتماعية، لا تستطيع أن تظفر فيها أية مقالة من مقالات الكتّاب، كما أن الصورة الكاريكاتورية الناجحة تحدث من الأثر والتأثير في نفس القارئ أكثر مما تحدثه حملات كبار الصحفيين، وكم أسقطت الصورة الكاريكاتورية وزراء، ووزراء، وكم أثرت في المجتمع التي رسمت من أجله، كما قد يؤثر الكاريكاتير في الشعوب كلها على مستوى العالم بلغته السهلة المحببة للنفوس" (الشرابي ، 2015)

على النقيض من ذلك ، يرى **عماد حجاج** " أن الانقسامات السياسية الحادة وما سببتها من شروخات أخرى في الإعلام الرسمي وغير الرسمي انعكست بشكل مقيت ومخز في المشهد الكاريكاتوري العربي فهناك شبيحة يرسمون الكاريكاتير للأسف، وهناك من يمجد الدكتاتوريات ويلعن الثورات وشعوبها!، وهناك قسم كبير من رسامين بلا طعم ولا لون ولا رائحة وإذا الريح مالت

مالوا، لا موقف محدداً لهم ويزيفون الوعي ويرسمون عن أزمة المواصلات بينما شعوبهم تداس تحت الدبابات! الوضع ليس بديعاً للأسف! ولكن كل هذا لا يلغي وجود قلة قليلة من المبدعين الساخرين الذين يناضلون برسوماتهم الساخرة ويحاربون الطغاة وكل مظاهر القبح والشر والبشاعة من وسط شعوبهم وبكل جرأة، لكن للأسف أصواتهم مبعثرة وغير مسموعين أو منظورين بشكل كاف وسط ازدحام المشهد." (حجاج ، 2016)

6. خاتمة:

يمكن القول في الختام أن وسائل الإعلام والاتصال تعتبر مصدرا مهما للتعرف على حركية أي شعب وثقافته وخلفياته التاريخية والحضارية، وتعيد بعض الدراسات نشوء الإعلام إلى عصور غابرة، فجاءت الرسوم الكاريكاتيرية بمختلف حواملها مرآة عاكسة للمجتمع، يعبر من خلالها الرسام الكاريكاتوري بسخرية عما يحدث في وطنه، فينتقد الأوضاع السياسية بكل جرأة محاولا المساهمة في إصلاح ما يفسده الساسة ولفت الانتباه الى أخطائهم مما يساهم في نشر الوعي والمشاركة السياسية، و قد انتشر هذا الفن بصورة لافتة بعد ثورات الربيع العربي في بلداننا العربية نتيجة الحرية التي منحتها الاحتجاجات الشعبية المتواصلة و محاولة ايصال صوت الشعوب للعالم أجمع .

رغم ما منحته التكنولوجيات الحديثة من فضاءات مفتوحة ينشر عبرها رسامو الكاريكاتير ابداعاتهم ويروجون لأفكارهم وسط تفاعل مباشر مع المتلقي، تبقى مشكلة التضييق على الحريات والاعتقالات وحتى الاغتيالات أهم عائق يقف أمام المزيد من الابداع والانتشار ويبقى بالتزامن مع ذلك فن الكاريكاتير أحد أهم الفنون الصحفية الساخرة وأحد أهم حقول الابداع التي تشتبك بالخطاب السياسي والاجتماعي وتقاومه.

7. قائمة المراجع :

1. آمال عامر ، و أعمر يوسفي . (2018). الخطاب الاعلامي الساخر. *مجلة آفاق للعلوم، 11* ، صفحة 233.
2. أنور الجندي . (بلا تاريخ). *تطور الصحافة العربية في مصر*. مطبعة الرسالة.
3. بكر عبد الرحمن . (2018). *الصحافة الساخرة في مصر*. الجيزة: دار الكتب المصرية.
4. جمال النشار . (11 03, 2018). *الكاريكاتير السياسي: الريشة الساخرة الأكثر صخبًا من الرصاص*. تاريخ الاسترداد 15 02, 2021، من ساسة بوسط: https://www.sasapost.com/political-cartoons/

5. حسان زهار . (30 06, 2020). *الكاريكاتير الجزائري.. حرب الأفكار الساخرة بلغتين*. تاريخ الاسترداد 03 03, 2021، من عربي 21: https://arabi21.com/story/1289539/%D8

6. حمادة ممدوح. (1999). *فن الكاريكاتير من جدران الكهوف الى أعمدة الصحافة*. دمشق: دار عشروت.

7. حمدان خضر سالم. (2018). الاتجاهات السياسية للكاريكاتير في جريدة الشرق الأوسط. *الباحث الاعلامي، 45*.

8. خالد بوفريوا. (26 مارس, 2018). *عندما يكون النقد هدفًا.. تصبح السخرية أسلوبًا*. تاريخ الاسترداد 12 05, 2021، من مدونات الجزيرة: https://cutt.us/jsV6q

9. خضر حمدان السالم . (2014). *الكاريكاتير في الصحافة* (المجلد الاولى). عمان : دار اسامة للنشر و التوزيع .

10. سلام نجم الدين الشرابي . (20 12, 2015). *آليات تأثير الرسوم الساخرة في الصحافة*. تم الاسترداد من لها أون لاين: https://cutt.us/I6MTr

11. علاء رشدي . (08 11, 2020). *الكاريكاتير" في مواجهة الممنوع والمقدس من نابليون إلى النبي محمد*. تاريخ الاسترداد 24 02, 2021، من Daraj : https://daraj.com/59168/

12. علي البوجديدي. (30 4, 2013). الفضاء في الكاريكاتير الساخر : رسوم ناجي العلي الكاريكاتورية. *مجلة الكوفة، 2*، الصفحات 193-213.

13. عماد حجاج . (18 5, 2016). *رسام الكاريكاتير الأردني عماد حجاج*. تم الاسترداد من جدلية : https://www.jadaliyya.com/Details/33277

14. عمر الشيخ. (22 03, 2016). *الكاريكاتير السوري: عملية قيصرية لإخراج الصوت*. تم الاسترداد من العربي الجديد: https://cutt.us/KN1Dx

15. عوض خيري. (26 أوت, 2011). *لاتوف.. رسام برازيلي جسّد ثورات الربيع العربي عن بُعد*. تم الاسترداد من الإمارات اليوم: https://cutt.us/YMYWm

16. غسان ناصر . (20 أوت, 2020). *سعد حاجو: مُجلّ الرسامين فقدوا ثقتهم بالجسم الرسمي للمعارضة*. تم الاسترداد من مركز حمرون للدراسات المعاصرة : https://cutt.us/iUZ2x

17. فريدة صغير عباس . (أكتوبر, 2018). تجليات الفضاء العمومي الافتراضي من خلال التفاعل الافتراضي عبر المجموعات الافتراضية. *المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات*.

18. لقاء السعدي . (13 3, 2016). *فَنّ الكاريكاتير في فلسطين.. عندما تفعل فرشاة الرسم فعل البندقية*. تم الاسترداد من أراجيك: https://cutt.us/Hfnhn

19. ممدوح حمادة . (1999). *فن الكاريكاتير من جدران الكهوف الى أعمدة الصحافة*. دمشق: دار عشروت.

20. نور علوان. (11 04, 2020). *فن الكاريكاتير.. حيز للسخرية الجريئة وانتقاد الممنوع*. تاريخ الاسترداد 22 02, 2021، من بوست ن : https://www.noonpost.com/content/36639

21. هشام (المحرر). (12 3, 2013). *نادية خياري..رسامة الكاريكاتير التي تقض مضاجع السلطة الجديدة*. تاريخ الاسترداد 22 2, 2021، من مجلة حياتك: https://cutt.us/vIkls

22. هشام جابر . (2009). *النكتة السياسية عند العرب*. بيروت: الشركة العالمية للكتاب.

23. واقف زادة شمسي . (1970). الادب الساخر انواعه و تطوره مدى العصور الماضية. *فصيلة دراسات الادب المعاصر*، صفحة 104.

24. ياسر سلطان . (07 05, 2021). *الأرمني ألكسندر صاروخان رائد الكاريكاتير في مصر*. تاريخ الاسترداد 21 07, 2021، من اندبندنت عربية: https://2u.pw/yCrJ1

25. ياسر سلطان. (11 04, 2021). *يعقوب صنوع مبدع حائر بين الصحافة والمسرح وفن الكاريكاتير*. تاريخ الاسترداد 22 08, 2021، من independentعربية: https://shortest.link/WYx

26. Bonhomme, M. (2010, novembre 30). La caricature politique. *Mots. Les langages du politique*, pp. 39-45. doi:10.4000/mots.19858

27. Pérez, P. R. (2014). Humour: A Change Agent in the Arab. *IEMed. Mediterranean Yearbook,*, pp. 331-334. Consulté le 05 22, 2021, sur https://cutt.us/4r2Rk

مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية	المجلد08 / العـدد: .02(2024)، صص123-136